

دور الموسيقى في حياتنا



تمهيد:

إن الفنون تعكس المجتمع بكل تفاصيله؛ بقيمه وأخلاقه ومفاهيمه وأفكاره وعاداته وتقاليده. وهي "طريقة يعبر بها الإنسان عن أحاسيسه ومشاعره، ويترجمها إلى أشكال عدة، مثل الدراما والموسيقى والفنون الخطابية والرسم وغيرها. وهي نابعة من أعماق الإنسان بوصفها رغبة للتعبير عن الفرح أو مكونات النفس. وهذه الفنون إحدى ضرورات الحياة لا يمكن الإستغناء عنها"¹.
وهنا سنتناول فناً من هذه الفنون وهو الموسيقى، وذلك للتعريف بها، والكشف عن الأدوار التي تؤديها في حياة البشر.

ينطلق هذا البحث المتواضع من التساؤلات التالية:

- من أين أتت الموسيقى؟ ما هي أهميتها؟ وما هي أنواعها؟
- ما هي الموسيقى العربية وأنواعها ومميزاتها؟
- ما هي الموسيقى الغربية وأنواعها ومميزاتها؟
- تأثير الموسيقى في حياة الإنسان، وكيف؟
- من هم أشهر الموسيقيين العالميين والعرب؟

1- تعريف الموسيقى:

هي فن تأليف الألحان وإيقاعها وتوزيعها والتطريب بضروب المعازف. وهي أصوات تمتلك تناعماً وإيقاعاً. ومن المؤكد أن بداياتها "كانت تعتمد على الأصوات الخاصة بالطبيعة مثل: أصوات الأشجار والطيور والأنهار والحيوانات وغيرها من الأصوات الأخرى.

¹ www.sotor.com إبراهيم الدوري، تعريف الموسيقى لغة وإصطلاحاً، موقع سطور الإلكتروني.

ومن ثم لاحظ الإنسان وجود هذه الأصوات، فإستخدم النفخ بالأنابيب المصنوعة من القصب لإصدار الصوت. ومع مرور الوقت صارت الموسيقى جزءاً من حياة الإنسان. وهي فن يبحث عن طبيعة الأنغام من حيث الإتفاق والتنافر وتأليف الموسيقى وطريقة أدائها وحتى تعريفها بالأصل تختلف تبعاً للسياق الحضاري والإجتماعي².

والموسيقى هي "عبارة عن فن مكون من السكوت والأصوات التي تصدر خلال فترة زمنية، وهي كلمة ذات أصول يونانية، وقد كانت سابقاً تعني مجموعة الفنون بشكل عام، إلا أنها مؤخراً أصبحت تقتصر فقط على لغة الألحان... وعرفت أيضاً على أنها فن الألحان الذي يبحث في تنظيم الأنغام، والروابط والعلاقات فيما بينها، كما يبحث في الإيقاعات وأوزانها، ويتم عزفها بإستعمال أنواع متنوعة من الآلات ومنها الآلات العضوية (التصفيق، صوت الإنسان)، الآلات الوترية (العود، الكمان، القيثارة)، وآلات النفخ (البوق، الناي)، والآلات الإلكترونية (الأورغ). والجدير ذكره أنها لا تقتصر فقط على العزف، وإنما تشمل أيضاً موسيقا الهرمونيك وقرع الطبول"³.

وإذا كانت الموسيقى من التراث الفني، الذي هو من مكونات الحضارة الإنسانية، فمن الطبيعي أن يكون لكل مجتمع نصيب منها مهما كانت درجة تطوره، ويمتلك تراثاً فنياً متراكماً. ولأهمية الموسيقى ألف الفارابي كتاباً بعنوان "كتاب الموسيقى الكبير"، شرح فيه المبادئ الفلسفية المتعلقة بالموسيقى وخواصها العامة وتأثيرها... ومفهوم العلاج بها وآثارها الثقافية على الروح.

ظلت الموسيقى "ومنذ أبقراط وأرسطو والفارابي، ذلك البلمس الذي يروي الروح، وتطرب به النفس، ويهيج له القلب. فالرنات العذبة والنغمات السامقة التي إبتكرها مبدعو الموسيقى،

² ما هي الموسيقى، موقع صحيفة الوطن الإلكتروني: www.alwatannews.net

³ إسرائ عبد القادر، أهمية الموسيقى، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com

ظلت على مر العصور معيناً أزلياً أبدياً يهوي إليه كل فرد مكلوم وتأوى إليه كل روح ظامئة أو نفس عليلة⁴.

2- أهمية الموسيقى:

لقد جعل أفلاطون الموسيقى والرياضة ركنان أساسيان في تربية أفراد المجتمع في جمهوريته المثالية. وهذان الركنان يشكلان عاملاً واحداً يساهم في تطور المجتمع، وبناء دولة يضمن لها الإستمرار طويلاً. فالموسيقى غذاء للنفس الإنسانية، تهذبها وتخليها من الشوائب والإضطرابات، وتعودها على الإنسجام والتوافق والتوازن والعدل، لأن صاحب المزاج المتناغم، لا يسعه إلا أن يكون عادلاً. ولذا كانت الموسيقى عميقة الأثر في توجيه السلوك الذي هو أساس الحياة الإجتماعية. والرياضة غذاء للجسم الإنساني، تقويه، وتجعله صحيحاً قوياً متناسقاً، فيه حيوية دائمة، ونشاط مستمر، وليونة جميلة، وربما إكتسب الجسم مناعة ضد بعض الأمراض⁵.

3- أنواع الموسيقى:

سنقسم الموسيقى إلى: الموسيقى العربية، والموسيقى الأجنبية الغربية، ونذكر أنواع كل

قسم:

أ- الموسيقى العربية:

تمتد جذورها إلى آلاف السنين قبل الميلاد، وقد كان على ضفاف النيل شعباً يرسل أغنياته، وعلى ضفاف الرافدين، وفيما حولها مدنات موسيقية عالية هي مدنات بابل وأشور، ثم تلاقت مع موسيقى غرب آسيا وشمال أفريقيا.

تعتبر المقامات الموسيقية هي الأساس اللحني والنغمي للموسيقى العربية. وقد تطورت في البيئة الأندلسية من خلال ظهور موسيقيين متميزين مثل زرياب الذي أضاف

⁴ هشام أحناش، تأثير الموسيقى السحري على الإنسان يواصل تحبير العلماء، صحيفة الإتحاد عن واشنطن بوست 2013.
⁵ جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، دار القلم، بيروت، طبعة ثانية 1980، ص 43 و76. وأنظر أيضاً: علي الخليل، محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، غير منشور، الجامعة اللبنانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية 1970 - 1971، ص 113.

الوتر الخامس على العود. كما تأثرت الموسيقى العربية بالموسيقى الغربية منذ منتصف القرن العشرين وظهر موسيقيين كبار مثل السيد درويش، محمد عبد الوهاب، ورياض السنباطي، وفريد الأطرش، ومحمد فوزي، والأخوين الرحباني وغيرهم⁶. وهنا نود الإشارة إلى جهود العرب في تطوير الموسيقى؛ فنجد أن الموسيقيين العرب هم الذين عملوا "النوتة" الموسيقية وألفوا كتباً عديدة في فن الموسيقى، لكن معظمها ضاع.

ويعتبر العرب أولى الشعوب التي توصلت إلى وضع سلم موسيقي كامل، ويعتبر يعقوب بن إسحق الكندي (804 - 872 م) أول من كتب في الموسيقى العربية، وقدم إخوان الصفا (ظهروا في النصف الأول من القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي) معلومات موسيقية قيمة وأسدوا للصوت والإيقاع العربي خدمة جُلِي...⁷

ومن كتب الموسيقى المهمة كتاب "الشفاء" لابن سينا (980 - 1037 م). لكن أعظم كتب الموسيقى العربية كتاب "الموسيقى الكبير" للفارابي (874 - 950 م)، الذي ظل يعتمد الأوروبون مدة طويلة. كما أن كتابه "الإيقاعات" يتضمن معلومات واسعة⁷.

أما أنواع الموسيقى العربية فهي:

- التخت الشرقي، أو الأوركسترا العربية.
- القصيدة أو الشعر الغنائي.
- الراي: عالمية بأصول عربية.
- موسيقى الشعبي: يعود أصلها إلى الأندلس.
- الطقطوقة: هي زجل يعتمد على إيقاعات واحدة.
- الموشح: هو شعر غنائي حديث مشتق من كلمة وشاح (الموشحات الأندلسية).

⁶ www.sites.google.com الموسيقى العربية - موسيقى،

طلال المجذوب، من أمجاد الحضارة العربية، العرب والموسيقى، مجلة العرفان اللبنانية، المجلد 71، العدد 10، كانون الأول 1983، ص 40، 41.⁷

- الموال: شعر شعبي، وهو أنواع: الموال السداسي، السباعي، والثماني وغيره. ومن مواضيعه: المدح، العتاب، الحزن، الغزل وغيرها⁸.
- ب- أنواع الموسيقى الغربية:
 - السيمفونية.
 - الروك: خليط من موسيقى الفولك والريف والبلوز.
 - الأوركسترا: يستخدم فيها الآلات الوترية والهادية والإيقاعية.
 - الراب: المقفى والسريع، ولا يلتزم بأي لحن.
 - الكونشرتو: موسيقى تتكون من عدة آلات تحل محل صوت الإنسان.
 - الجاز: تعود إلى أصول ثقافات غرب أفريقيا.
 - البلوز: مأخوذة عن الموسيقى الأفريقية - الأميركية.
 - السوناتا: يستخدم فيها البيانو⁹.

4-الموسيقى عند الصوفية:

الصوفيون هم جماعات لهم طرقهم الخاصة في العبادة، لم تأت بها الشريعة. وسُموا بهذا الإسم لأنهم كانوا يلبسون الصوف، وقيل إنها من الصفا، أي يعتنون بصفاء القلوب من كدر الذنوب وكسب الحرام، وقيل غير ذلك.

وسماع الموسيقى في تقليدهم هو الإستماع إلى الموسيقى بهدف بلوغ حالة من النشوة الروحية، أو تغذية الروح. والموسيقى الصوفية هي منبع يستقي منه الصوفي إلهامه.. وقيل عنها أنها رزينة ومهيبية ولها قدرة على إختراق الروح، وهي تتوجه لمستمعين قادرين على إستيعابها والإمساك بها بالحواس ونقلها إلى الروح، فتسمو بها إلى معارج الكمال ومراتب الصفاء¹⁰.

⁸ www.mawdoo3.com هايل الجازي، ما هي أنواع الموسيقى، موقع موضوع الإلكتروني: 8

⁹ يوسف السبيسي، دعوة إلى الموسيقى، عالم العرفة الكويتية، العدد 46، ص 161، 163.

¹⁰ facebook عبد الرفيع التيجاني، الموسيقى تهذب النفس، موقع ملامحنا على

والحقيقة أن الموسيقى العربية تدين في نهضتها الحديثة للأجواء الصوفية التي سيطرت على الغناء العربي في أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين؛ حيث قاد شيوخ الإنشاد الديني في مصر عملية تطوير الموسيقى العربية، أمثال: يوسف المنيلوي (1850 - 1911)، وسلامة حجازي (1852 - 1917)، وإبراهيم القباني (1852 - 1927)، وأبو علاء محمد (1878 - 1927)، وسيد درويش (1892 - 1923)، وزكريا أحمد (1896 - 1961) وغيرهم. وقد عرفت الموسيقى والغناء لدى المتصوفة العثمانيين أحياناً بإسم "الفن الإلهي"¹¹.

تتجسد أشكال الموسيقى الصوفية في حلقات من الذكر يجتمع فيها المنشدون وال دراويش، مناجين ومتقربين إلى الله. جلسات لا تخلو من الرقص الصوفي لكبح شهوات النفس والرغبات الشخصية عبر الإستماع إلى الله والموسيقى والتدبر والدوران حول النفس الذي أتى مفهومها من خلال دوران الكواكب حول الشمس. وتعد دول أندونيسيا وأفغانستان وصولاً للمغرب المراكز الأساسية للموسيقى الصوفية وإمتداداً لممارساته، كما تعتبر موسيقى غناوة غرب أفريقيا شكلاً آخر من الصوفية¹².

5- تأثير الموسيقى:

قبل الحديث عن تأثير الموسيقى على البشر، أود الإشارة إلى تأثيرها على الحيوانات

والنباتات:

أ- تأثير الموسيقى على الحيوانات:

قد يبدو هذا العنوان غريباً بعض الشيء، لكن علماء النفس يؤكدون أن للموسيقى تأثير على الحيوانات. فقد أشارت الدراسات إلى أن الأبقار تنتج حليباً أكثر لدى سماعها موسيقى هادئة وكلاسيكية. والتماسيح إزداد نشاطها العقلي بتأثير الموسيقى. وهناك

¹¹ www.alaraby.co.uk محمد كريم، الصوفية أصل حكاية الموسيقى العربية، الموقع الإلكتروني:

¹² www.ar.m.wikipedia.org موسيقى صوفية، موقع ويكيبيديا الإلكتروني:

موسيقى خاصة تتفاعل معها القطط والكلاب. كما أن الببغاوات تتزامن حركاتها بشكل أفضل على الإيقاعات¹³.

ب- تأثير الموسيقى على النباتات:

تشير الدراسات والأبحاث المتعلقة بتأثير الموسيقى على النباتات، أن النبات ينمو باتجاه مصدر صوت موسيقى الجاز والموسيقى الهندية والكلاسيكية، ويحاول الهروب من مصدر الضوضاء لموسيقى الروك. ويمكن القول بأن النبات كائن حي يتفاعل مع البيئة الخارجية وله القدرة على التمييز بين أنواع الأصوات التي يستقبلها¹⁴.

ج- تأثير الموسيقى على الإنسان:

استخدمت الموسيقى قديماً بأنها هبة من هبات الآلهة، فأبولو أحد آلهة الإغريق القدماء إلهاً للموسيقى والطب.. كما استخدمت كعلاج لطرد الأرواح الشريرة، إعتقاداً بأنها تؤثر على العواطف بما ينعكس على طبيعة الفرد وتهذيب روحه. فهي تؤثر على الناحية الوجدانية لدى الإنسان، وأن أعصابه تتأثر عند الإستماع إلى الألحان، لذلك استخدموها لعلاج بعض المصابين بالأمراض العصبية والعقلية. فأرسطو يقول لنا عن الموسيقى بأنها ربة التهذيب والذوق والجمال، هي لغة النفس والعاطفة. أما أفلاطون فقال: هي حركة أصوات للوصول بالروح للتربية والفضيلة. والكاتب الألماني هيرمن هسه (1877 - 1962 م) قال: الموسيقى هي جوهر الثقافة الغربية¹⁵.

• أهمية الموسيقى للأطفال:

للموسيقى تأثير على الأطفال كما يلي:

- تنمي الإدراك الحسي للطفل، وتزيد قدرته على الملاحظة.

¹³ www.arabicpost.net جمال النشار، تأثير الموسيقى على الحيوانات، موقع عربي بوست الإلكتروني:

¹⁴ www.alittihad.ae نورة المزروعى، النبات والموسيقى، أي تأثير؟ صحيفة الإتحاد على الموقع الإلكتروني:

¹⁵ ، الموقع الإلكتروني: Arab Advertising Organization وفاء ديبو، الموسيقى... ثقافة وعلاج، المؤسسة العربية للإعلان www.info@elam.gov.sy

- تنمي وتحفز الذاكرة السمعية لديه، وتزيد من قدرته على الإبداع.
- تسهل عملية تعلم المواد التعليمية والدراسية.
- تنمي التوافق العضلي والحركي في جسمه.
- تنمي الذوق لديه.
- تخلصه من القلق والتوتر.
- تحفز وتثير الكثير من إنفعالاته، كالقوة والفرح والحزن والشجاعة.
- تنمي الجوانب الإجتماعية عنده.
- تقوي علاقته بأمه..¹⁶

● تأثير الموسيقى على الإنسان:

الموسيقى تُشعر الإنسان بالسعادة، وتساعده على تنظيم عواطفه، وتدفع الدماغ إلى إطلاق مادة كيميائية تسمى الدوبامين، ذات التأثيرات الإيجابية على المزاج. كما تساعد الموسيقى على الشعور بالعواطف القوية مثل الحزن والخوف والفرح.. وهي تعزز قدرة الأطفال على فهم الكلمات وشرح معناها، وتطور قدراتهم البصرية، وتحسن درجاتهم الدراسية. والجدير ذكره أن الأبحاث أشارت إلى أن الإستماع للموسيقى تقلل مستويات هرمون الإجهاد، وهو هرمون الكورتيزول Cortisol، وهو المسؤول عن إضعاف جهاز المناعة لدى الإنسان، وضعف الذاكرة والتعلم، وزيادة خطر الإصابة بأمراض القلب وضغط الدم¹⁷.

فالموسيقى غذاء للروح وشفاء للنفس، ملهمة الفنان، مفككة الأحزان، محركة للشعور، مهدئة الأعصاب، مقوية العزيمة، مبعدة الهزيمة، وعلاج المرضى. يتذوقها الإنسان في كل مراحل حياته¹⁸.

¹⁶ www.mawdoo3.com إسرائ عبد القادر، أهمية الموسيقى، موقع موضوع الإلكتروني:

¹⁷ www.mawdoo3.com غادة الحلاقة، أهمية الموسيقى في حياة الإنسان، موقع موضوع الإلكتروني:

¹⁸ www.yabeyrouth.com تعريف الموسيقى ومفهومها عند العرب، الموقع الإلكتروني:

تستعمل الموسيقى اليوم في العلاج، لأنها قادرة على تحريك المشاعر في أعماق الإنسان.

- تساعد على الإحساس بالآخر، لأنها وسيلة لترقيق القلوب.
- تعطي بعداً آخر لأي عمل تدخل فيه، لذلك تقترن بالقنوات والبرامج المتلفزة والأفلام.
- وسيلة من وسائل لفت إنتباه الناس إلى قضايا معينة؛ فالموسيقيين ينتجون مقطوعات موسيقية مؤثرة قادرة على التأثير بكل من يستمع إليها.
- هي وسيلة تحفز الناس على القيام بأعمالهم، لهذا فإن الناس في أحلك الأوقات يبدؤون بترديد الأناشيد المحفزة والتي تبث الهمة، والروح المعنوية العالية في النفس الإنسانية المتعبة¹⁹.
- سماع الموسيقى يعمل على تحفيز المخ على إفراز مادة الإندروفين التي تخفف الإحساس بالألم والقلق. كما تعمل كمسكن للأوجاع، وأصبحت تعزف بعد النصر والهزيمة. وتعمل على زيادة التشويق، وتضع المشاهد في حالة المشهد كأنه جزء من سياقه²⁰.

6- عمالقة الموسيقى العالميين:

- بتهوفن، لود فيج فان (1770 - 1821): ألماني، ولد في مدينة بون.
- برامز، يوهانس (1833 - 1897): ألماني، ولد في مدينة هامبورج.
- تشايكوفسكي، بيتر إيليش (1840 - 1893): بروسي، ولد في مدينة كامسكو بولاية فياتكا.
- دفورجك، أنطونين (1841 - 1904): تشيكي، ولد في ضواحي براغ العاصمة.
- فرانزليست (1811 - 1886): مجري، ولد في قرية رايدنج.
- شوبان، فريديريك فرانسوا (1809 - 1849): بولندي، ولد في إحدى ضواحي وارسو.

¹⁹ www.mawdoo3.com محمد مروان، كيف تؤثر الموسيقى في حياة الناس، موقع موضوع الإلكتروني: ¹⁹

²⁰ www.mawdoo3.com هبة كامل، تأثير الموسيقى على الإنسان، موقع موضوع الإلكتروني: ²⁰

- فاجنر، فيلهم ريتشارد (1813 – 1883): ألماني، ولد في مدينة ليبزج.
- دي فايا، مانويل ماريا (1876 – 1946): أسباني، ولد في مدينة كاديس.
- رافيل، موريس (1875 – 1937): فرنسي، ولد في بلدة سيبورن، بالقرب من مدينة سان جان دي لون.
- بارتوك، بيلا (1881 – 1945): مجري، ولد في مدينة ناغي سانت ميكلوس، وهي الآن تنتمي لرومانيا وتسمى سينيكولاو²¹.

7- أشهر الموسيقيين والملحنين العرب:

سنقتصر على ذكر أهمهم وهم:

- سيد درويش (1892 – 1923)، مصري.
 - محمد القصبجي (1892 – 1966)، مصري.
 - زكريا أحمد (1896 – 1961)، مصري.
 - محمد عبد الوهاب (1904 – 1991)، مصري.
 - بليغ حمدي (1931 – 1993)، مصري.
 - سيد مكاي (1928 – 1997)، مصري.
 - عاصي ومنصور الرحباني (الأخوين رحباني)، لبنانيان.
 - سهل عرفة (1935 – 2017)، سوري.
 - حسن عريبي (1933 – 2009)، ليبي²².
- أما أشهر خمسة مؤلفين كلاسيكيين عرب في القرن العشرين فهم:
- سلفادور عرنيطة: فلسطيني.
 - حلیم الضبع: مصري.
 - توفيق سكر: لبناني.
 - صليحي الوادي: عراقي.

²¹ يوسف السيسى، دعوة إلى الموسيقى، عالم المعرفة الكويتية، العدد 46، الفصل الثاني، ص 55 – 150.

²² www.sitesgoogle.com كلاسيكيات الموسيقى العربية – الخمسة الكبار، الموقع الإلكتروني:

- ضياء سكري: سوري²³.

الخاتمة:

لقد أجاب هذا البحث عن التساؤلات التي إنطلق منها، فعرف الموسيقى، وأظهر أهميتها وأنواعها، وتحدث عن الموسيقى العربية والغربية ومميزاتها وأنواعهما، كما تناول الموسيقى عند الصوفية، وانتقل ليجت عن تأثير الموسيقى في حياة البشر؛ فذكر تأثيرها على الأطفال، ورأى أنها تنمي الإدراك لديهم، والتوافق الداخلي، والذوق وتخلصه من القلق. أما تأثيرها على الكبار، فرأينا أنها تشعرهم بالسعادة وتنظيم العواطف وتهدئ الأعصاب، كما أنها تستعمل اليوم في علاج بعض الأمراض. أختتم البحث بلائحة أسماء أهم وأشهر الموسيقيين العالميين والعرب.



²³ www.7iber.com يزن اللّجمي، خمسة مؤلفين كلاسيكيين عرب من القرن العشرين، موقع حبر الإلكتروني: 23